

البيت الانجليزي

سماته ، وميزاته

يبلغ عدد السكان في مدينة لندن نحو عدد سكان الوجه البحري في مصر . أى ما يقرب من سبعة ملايين ساكن . ومع ذلك لا تجد قهوة واحدة كتلك التي ترى في القاهرة حيث تصف الكراسى والموائد ويقعد الناس للحديث أو التلهي برؤية الرائح والغادى . وليس معنى هذا أن لندن تخلو مما يقوم مقام القهوات عندنا . فان فيها الكثير من الأندية التي يجتمع فيها فئات متشابهة من الناس . كما أن فيها عددا كبيرا من الحانات التي تشرب فيها الخمر . ولكن شارب الخمر في لندن يشربها عادة وهو واقف . ولما يقعد ، إلا إذا شاء أن يتناول مع شرابه طعاما . ومشارب الشاي كثيرة بالطبع ، لأن حب الانجليزية للشاي يبلغ حد الإسراف . ولكن مشرب الشاي هو مطعم أيضا . والانجليزي — لأنه يتناول غداء خفيفا — يحس الجوع حوالى الساعة الرابعة فيحتاج إلى أن يأكل شيئا مع الشاي . وقل أن يقضى في مشرب الشاي أكثر من ربع أو ثلث الساعة .

ونظام العمل في لندن يبدأ من الصباح المتأخر ويستمر إلى وقت يتراوح بين الرابعة والسادسة في المساء . فإذا انتهى العامل أو الموظف من عمله قفل راجعا إلى منزله حيث يبقى إلى الصباح التالي . إلا إذا كان هناك ملهى يقضى فيه مع زوجته السهرة . فالبيت في إنجلترا — وهى لا تختلف عن لندن من حيث نظام العمل — مكان محبب إلى سكانه يقضون فيه معظم وقتهم . وهم لهذا السبب يعنون به بناء وتأثيثا . وربما كان أشهر الأغاني الإنجليزية أغنية عن البيت لا يكاد يجهلها انجليزي رجلا كان أو امرأة أول أبياتها :

Home, sweet home, أى : أيها البيت : أيها البيت العذب . وللبرد الذي يسود البلق الانجليزي نحو تسعة أشهر في العام تأثير اجتماعى خاص ، إذ هو يبعث على الاكتنان وطلب الدفء . وهذا هو أحد الأسباب التي تجعل من المستحيل تقريبا أن يمضى الناس سهراتهم في قهوات مكشوفة كالحال الشائعة في مصر . فالإنجليزي يلجأ إلى بيته وهو في أغلب الأحيان مقرر فيقصد إلى الموقد للاصطلاء . ومن هنا صار الموقد والبيت اسمين مترادفين في اللغة الإنجليزية .

ومعظم البيوت في المدن الانجليزية يستقل به الساكن من باب الشارع . وقد فشا نظام الشقق في المباني الكبيرة ، ولكن الانجليزي لا يزال يحب المنزل المستقل . وقد ساعدته الحكومة على ذلك بأن منعت بناء المنازل المتلاصقة ظهرا لظهور . أى يجب على كل مالك أن يترك فضاء يصح أن يكون حديقة خلف المنزل . والعادة أن المنزل الانجيزى تتقدمه حديقة صغيرة قد لا يتجاوز عرضها مترا أو مترين ، وقد تبلغ سبعة أو ثمانية أمتار . أما في الخلف فإن الحديقة كبيرة تزرع فيها الأسرة ما شاءت من أشجار الزينة أو النباتات النافعة . وهذه الحدائق رثاء أو خراشئ للأكسجين في مدينة مكتظة بالسكان . كما هي سلوى يجد فيها رب البيت فترة الراحة التي ينشدها بعيدا عن الصخب ، إذ هو حين يكون فيها لا يسمع شيئا من حركة الشارع الذى ينفصل منه ببناء المنزل .

والمنازل تبني في الشارع شبكة واحدة لا تتغير . وبذلك يكتسب الشارع جمالا إذ لا يبعد السائق منزلا يشذ عن النظام أو تنفر منه العين . كما أن كثيرا من المنازل لا يعرف برقه كما هي الحال عندنا بل باسمه كأن له شخصية . وفي هذا ما يدل على تعلق صاحبه به .

وغرفة الضيوف في البيت الانجيزى هي غرفة الجلوس للعائلة . وهي تزود بالكراسى المريحة التي يمكن الاستناد إلى ظهرها الطرى والاضطجاع على مساندها . ولذلك لا يتعب الإنسان من القعدة الطويلة . والراحة هي التي تنشئ في الأثاث الانجيزى قبل القمامة والأبهة . ولذلك كثيرا ما تكون الكراسى من الأديم المتين . ورددهات المنزل وممراته حتى المرحاض تفرش جميعها بالسجاد أو ما يقاربه . ولا يتخلو بيت انجيزى ، مهما بلغ بسكانه الفقر من غرفة للاستحمام تحوى حوضا يملأ بالماء الساخن أو البارد . والاستحمام اليومي عند الانجليز من الشعائر الاجتماعية التي لا يستغنى عنها ولا تم المروعة بدونها للرجال والنساء .

ولكن يحدث أحيانا للاقتصاد في الوقود أن تكون غرفة الطعام هي تقسها غرفة الجلوس للعائلة . وعندئذ تزود هذه الغرفة بالمقاعد الوثيرة ، ورفوف المكتب وجهاز الراديو فون . والجو العام في البيت الانجيزى هو جو الراحة لا جو الترف . أما النظافة فإن حرص ربة البيت عليها يكاد يكون هوسا . ولذلك يمكن أن يقال إن ٩٩ في المائة من السكان في بريطانيا لم يروا برغوثا أو بقة في حياتهم .

والحكومة البريطانية تنفق ملايين الجنيهات لتشجيع على بناء المنازل ، باعتقاد أن صاحب البيت هو عضو حسن في الهيئة الاجتماعية ، يحس المسؤولية لأنه مالك . ولذلك أقرضت جمعيات البناء قروضا كبيرة بفوائد صغيرة وامتيازات مختلفة من ناحية الضرائب . وهذه الجمعيات

تبنى المنزل ثم تبعه لمن شاء على طريقة "الاستهلاك بالإيجار" أى أن المستأجر يسكن منزله ويؤدى إيجاره حتى إذا مضت سنوات معينة صار مالكه. وهذه الطريقة تتبع أيضا فى بيع الأثاث . والمحاكم الإنجليزية تدرك المفزى من هذا النظام وتسجع عليه بأحكام رادعة لمن يؤذون التاجر الذى يستأجرون منه أثاثه ويبدونه .

والعادة فى المدن الإنجليزية أن يفطر العامل أو المستخدم فطورا ثقيلًا بالمقابلة الى ما تناولن نحن فى الصباح . إذ هو يأكل البلبلة باللبن واللحم والبيض والزبدة والمربى والخبز والشاى . فإذا كان الظهر لم يرجع الى المنزل ، بل يتناول غداءه - وهو يشبه فطورنا فى الخفة - فى مطعم قريب من عمله . ثم يعود فى الساعة الرابعة الى منزله حيث يتناول الشاى . وإذا كان عمله يقتضى البقاء الى السادسة فإنه يتناول الشاى خارج منزله . والوجبة الثقيلة هى العشاء وهى التى تجتمع فيها العائلة بجميع أفرادها .

وعناية الإنجليز بالسكون كبيرة جدا . ولذلك يمكن أن يقال إنه على الرغم من ضخامة لندن وما فى شوارعها من حركة لا تنقطع فإنها أكثر سكونا من القاهرة . وقد أقيم معرض حديث للنازل من حيث البناء والتأثيث فى إنجلترا امتاز فيه منزل بميزة عجيبة ، وهى أنه فى إحدى غرفه قد أطلق بالقرب من نافذتها مسدس فلم يسمع السكان عيابه . وذلك لأن بناء الجدار وكذلك نظام النافذة وما فيها من زجاج قد هيئ جميعه بحيث يمنع انتقال الصوت . ولعل الأعصاب الإنجليزية فى حاجة الى مثل هذا النظام فى بيوتهم لكن يكون منه ما يخفف عناء الحياة فى حضارة تفتت الأعصاب بما فيها من عجلة وضجة . فإن كل شىء يحرى فى عجلة حتى السابلة فى الشوارع تلاحظ عليهم هذه العجلة فى السير . والمشى الوئيد لا يكاد يعرف .

تعزية حكيمة :

مات للأشعث بن قيس ولد عزيز فكتب الإمام على يعزیه : " يا أشعث ، إن تحزن على ابنك فقد استحققت منك ذاك صلة الرحم ، وأن تصبر ففى الله من كل مصيبة خلف . وإن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور ، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور ."